مستقبل منطقة الشرق الأوسط
بعد ثورات الربيع العربى المدعاة

مقدمة

إنه من الضرورى، ومن اللازم لنا قبل الدخول والخوض فى هذا الحديث عن مستقبل منطقة الشرق الأوسط فى الحقبة التالية لثورات الربيع العربى، أن نضع نقاطا محددة ومحاور رئيسية تبين بعض الملامح الهامة لهذا الموضوع.

أولا: عندما تتحدث مراكز الأبحاث والدراسات السياسية عن منطقة الشرق الأوسط تتحدث عنها ككتلة واحدة دون انتزاع الدولة العبرية منها، وعلى العكس من ذلك عتدما تتحدث مراكز الأبحاث والدراسات السياسية عن المنطقة العربية تتحدث عن منطقة الشرق الأوسط وهى لا تضع اعتبارا لوجود الدولة العبرية، وكأنها تدفن رؤوسها فى الرمال كالنعام، فالحديث هنا عن مستقبل منطقة الشرق الأوسط لابد أن يندرج حديثنا وفى خلفيته وجود الدولة العبرية فى جسد المنطقة العربية كعامل سلب

وليس عامل إيجاب، ومنه أيضا الحديث عن الدولة الإيرانية كممثل فاعل ورئيسى فى الأحداث الواقعة فى منطقة الشرق الأوسط.

ثانيا : الحديث عن منطقة الشرق الأوسط ومستقبلها المقصود به هنا هو رسم خريطة توضيحية للأحداث التى وقعت بالمنطقة تباعاً كمقدمات لثورات الربيع العربى، وبالتالى ما يحدث بعدها هو نتائج حتمية لمقدمات قد مضت سلفا تسير عليها المنطقة إلى مصيرها المحتوم.

ثالثا: لا يمكن الحديث عن مستقبل المنطقة العربية وحدها منفردة، ودراسة مستقبل هذه البلدان العربية بعد ثورات الربيع العربى إلا من خلال رؤية منطقة الشرق الأوسط لتفاصيل ما يقتضى منا تحديد المحاور الأساسية للأمن القومى العربى للمنطقة ككتلة واحدة، ثم الحديث عن محاور الأمن القومى العربى لكل دولة على حدة، وربما تتحد محاور الأمن القومى العربى للمنطقة كوحدة واحدة مع محاور الأمن القومى لبلد ما مثل مصر مثلاً، فإننا نجد أن مصر كدولة محورية فى المنطقة وفى قلب الكتلة العربية لها محوران أساسيان لأمنها القومى: المحور الأول

هو المحور الشرقى عموماً، والشمال الشرقى خصوصاً (فلسطين)، المحور الثانى، هو المحور الجنوبى وهو السودان حفاظاً على مياه نهر النيل، ويشمل ذلك دول المنبع وأهمها أثيوبيا.

رابعا: الأطماع الدولية الواضحة فى ثروات المنطقة العربية عامة وبلدان الخليج العربى خاصة، يمثل معلما واضحا من معالم التأييد الدولى، واللعب على ورقة المصالح الدولية فى المنطقة، وكأن المنطقة العربية فى الشرق الأوسط تمثل طاولة للعب القوى المختلفة على مصالحها وسلب ثروات المنطقة بشكل منتظم.

بعد وضع هذه المقدمات الأربع نستطيع الدخول إذن فى الحديث عن مستقبل منطقة الشرق الأوسط بعد ثورات الربيع العربى .

تعالوا نبدأ معاً الحديث عن المستقبل من خلال الحديث عن الماضى، وليس الماضى البعيد، فمنذ أن زرع الاستعمار الغربى الدولة العبرية فى جسد المنطقة العربية وكل المؤسسات الدولية تخدم هذا المشروع وتعمل على تثبيت دعائم وأركان الدولة العبرية فى جسد المنطقة العربية، وكان أول تهديد حقيقى

لوجود هذا الكيان العبرى هو هزيمة الدولة العبرية أمام الكيان المصرى والعربى فى السادس من أكتوبر من عام ١٩٧٣، ومنذ ذلك الزلزال الذى هز إسرائيل كدولة فى المنطقة، ومنذ ذلك الحين تشابكت الخيوط الدولية فى هذا المشروع ووقفت المؤسسات الدولية ومن ورائها الدول العظمى أمام خيار صعب، ما العمل إذن؟ فكان القرار غير المكتوب وهو أنه لا يجب أن يتكرر هذا التهديد مرة ثانية، ولا يجب السماح لدول المنطقة العربية أن تكون كتلة واحدة فى مواجهة الدولة العبرية ، فهذا خلاصها، فباتت كل المخططات العالمية على هذا الكابوس المسمى بهزيمة الدولة العبرية أمام الكيان المصرى العربى، وكان الهاجس الوحيد أمامهم هو ماذا لو توحدت المنطقة العربية هذه بهذا الشكل لفترة ليست بالقليلة، ما الحل إذن؟ وبدأت على الفور الأجهزة المعنية بدراسة هذا الأمر بالبحث له عن حلول مستقبلية يكون فيها شرق أوسط جديد بمعايير يرتضيها الكيان الدولى للدولة العبرية.

ملامح واضحة فى إطار شرق أوسط جديد:

الملمح الأول: لتشكيل شرق أوسط جديد بدأ المخطط فى داخل المنطقة وخارجها، فى داخل المنطقة يسمح

بقيام دولة إسلامية وثورة خومينية فى إيران لإسقاط نظام الشاه، والبديل إقامة أول دولة شيعية فى المنطقة ليكون التهديد الشرقى موجودا بشكل مستمر ودائم للمنطقة العربية بأسرها ولدول الخليج العربى بشكل خاص.

الملمح الثانى: العمل على إسقاط وتفتيت دولة عظمى بحجم الاتحاد السوفيتى وتقسيمه الى دويلات متصارعة وتعيسة، وبالتالى تفكيك الاتحاد السوفيتى كقوة عظمى يتبعه تقسيم ثرواتها وقواتها الباطشة.

الملمح الثالث: استخدام الإسلام السياسى والسماح له بالعمل بعد النشأة فى المنطقة العربية كلاعب ضد الدولة الشيوعية فى بلاد الأفغان، فبدأت فكرة إحياء فكرة الإسلام السياسى فى المنطقة العربية مع نهاية النصف الأول من السبعينيات فى القرن العشرين، وبدأت الدولة العظمى المؤيدة للدولة العبرية فى المنطقة تسمح لظهور الإسلام السياسى تحت مسمى إحياء الخلافة الإسلامية، ذلك المشروع الذى كان يحلم به ملوك قبل ظهور الدولة العبرية وكان وقتها قد سقطت الخلافة الإسلامية فى تركيا، فأصبح الطريق ممهداً، وكانت هذه الخطوة

الأولى من الإسلام السياسى، وكانت حلقة حالمة لا أنياب لها أنبتها الأمريكان ومن معهم لتحقيق هذه الفكرة، وبدأوا فى الموجة الثانيه من استخدام الإسلام السياسى ضد الدولة الشيوعية فى بلاد الأفغان، وبدأوا فى تدريب ومعاونة المجاهدين العرب فى أفغانستان تحت سمع وبصر الحكومات العربية، وتحدثوا عن ضرورة السماح للتيار الدينى بمزاولة نشاطه السياسى، وكانت الحضانات الأوربية موجودة لهم فى حالة القمع الأمنى والمواجهة القمعية، فكان الغرب والأمريكان يقومون بدور المحلل السياسى لهذه الجماعات الإسلامية التى لم تصبح حالة فقط، بل أصبحت منفذة للمشروع الأمريكى الصهيونى دون دراية ووعى منها، ودخل المجاهدون العرب الإسلاميون الى حرب باتت مقدسة بالنسبة لهم فى أفغانستان وهم لا يعلمون ماذا يخبئ لهم ولبلادهم بعد ذلك.

الملمح الرابع: عودة المجاهدين العرب من بلاد الأفغان لجسد المنطقة، والعود غير أحمد:

مع عودة المجاهدين الإسلاميين لبلادهم بعد نهاية دورهم فى حرب الدولة الشيوعية فى بلاد الأفغان انتبهت الحكومات العربية وقتها لخطورة الإسلام

السياسى، والذى كان له مقدمات فى خلافات المجاهدين أنفسهم فى بلاد الأفغان، ومقاتلة بعضهم بعضاً، وقررت الدول الراعية لهذا أن يعيد الوحش لجسد الأمة العربية لا ليحنو عليها بل ليدمرها فى إطار المشروع القديم لتقسيم وتفتيت المنطقة إلى كيانات صغيرة ذات نزاعات قبلية عصبية أو أيديولوجية أو حتى دينية، فبدأت مخاوف الحكومات العربية وقتها، ووقفت ضد هذا الزحف غير المقدس من مجاهدين عرب أسقطوا دولة شيوعية عظمى فى بلاد الأفغان وبدأت تطاردهم .

الملمح الخامس: دخول الإسلاميين فى نسيج الحكومات :

مع بداية الثمانينات بدأت فكرة حضور الإسلام السياسى إلى سدة الحكم فى بلادهم، تحت مسمى إعطاء التيار الدينى فرصة لتداول السلطة مع التأكيد عليهم فى خلق مناخ حريات وديمقراطيات تقبلها الشعوب، أى معادلة الدولة الإسلامية المدنية .

وبدأ الوحش العائد من بلاد الأفغان يعيش فى جسد المنطقة فى اليمن والصومال والسودان والجزائر

ومصر، مدمرا لها.

الملمح السادس: التجربة اللبنانية فى النصف الثانى من السبعينات من القرن العشرين، وكانت قد أتت أكلها كنموذج للحرب الأهلية فى بلد عربى صغير تجمعت فيه كنموذج حرب أهلية على أسس عصبية أيديولوجية أو دينية، وتقسمت لبنان إلى مناطق سنة وشيعة، وتم زراعة كتائب وجمعيات مسلمه فى جماعة أمل ثم حزب الله ثم ....الخ.

كل هذه الملامح، ولم يدر الحكام العرب بالسيناريو القذر الذى يدور لتثبيت أركان ودعائم الدولة العبرية فى إطار عقد مفاوضات ومعاهدات ثنائية مقززة مع دول إقليمية لها قوى وتأثير فى المنطقة، وإبرام مجموعة من المعاهدات والاتفاقيات لإخراج دول عربية من الصراع بشكل جزئى.